العالمان العربي والإسلامي في ألمانيا الشرق والغرب

تلاحم لا ينفصل في عالم اليوم

ماينز-يوهانس باردونغ

إن حضور الإسلام في اللغة والثقافة الألمانيتين يتضح على أفضل وجه من خلال شعر يوهان فولفغانغ غوته، الذي ما زال يعتبر أبرز شخصية في الأدب الألماني، وهو الذي عرّف الكثير من الألمان والأوروبيين بالإسلام من خلال كتابه "الديوان الشرقي-الغربي". وواحد من أبرز أشعاره في هذا الكتاب الذي طبع عام 1819, قوله: "إن كل من يعرف نفسه ويعرف غيره فلا يستطيع تجاهل حقيقة أن الشرق والغرب لا ينفصلان". وقد استوحى أفكاره من ترجمة ديوان محمد شمس الدين المعروف بـ "حافظ"، من شعراء القرن الرابع عشر الميلادي وواحد من أبرز شعراء الأدب الفارسي.

بوابة عشتار البابلية في متحف برغامون ببرلين
Gate of Ishtar from Babylon in the Pergamon Museum in Berlin

ومن دون الدخول في معاني القصص الخيالية لألف ليلة وليلة أو قصص المغامرات التي كتبها المؤلف الألماني كارل ماي أو التفصيل في العلاقات التاريخية عبر الأزمان، فإننا نرى الكثير من مراكز البحوث والإعلام والمتاحف والمنظمات التي تلعب دورا رئيسيا في الربط بين ألمانيا والإسلام. ومن الجدير بالذكر أن هناك حاليا جالية إسلامية تقدر بحوالي ثلاثة ملايين في ألمانيا.

معهد العلوم المعاصرة

وبالنسبة لمعاهد ومؤسسات البحث العلمي، فإن نظرة تاريخية لتطورها هو أمر ضروري لأن العلماء المسلمين واكتشافاتهم وضعت الأسس للدراسات الغربية منذ أواخر القرون الوسطى. ونحن لا نتكلم هنا عن اكتشافات فردية متميزة أو نظريات ثورية، فالعلوم الحديثة، العلوم الطبيعية والإنسانية، وكذلك الفلك والرياضيات والطب والفلسفة، تدين في وجودها للتأثيرات العربية.

ويعلم الكثير من الغربيين أن المسلمين هم الذين اخترعوا الجبر والأرقام العربية وفكرة "الصفر". ←

وعادت برلين منذ عام ١٩٩١ عاصمة لألمانيا

Berlin since 1991 again the capital of Germany

ولكن ما ليس بالمعلوم الشائع هو أن هذه هي نتائج حضارة زاهرة في القرون الوسطى، تتجاوز بكثير الثقافة الأوروبية في ذلك الزمان. وحتى بداية انتهاء القرون الوسطى، كان العالم الإسلامي يعلو بقامته على الحضارة الأوروبية. وقد كانت مدنه تمتلك مكتبات وجامعات أفضل، وفلاسفته وعلماؤه يتقدمون بمعدلات أسرع. وكان فنه ومعماره أثرى، وعامة أهله يتمتعون، بصورة عامة، بمستويات ثقافية ومستويات أعلى للعيش. ولم تستطع أوروبا في ذلك الوقت أن تسير بنفس معدلات التطور التي كانت تسير بها الثقافة المدنية الإسلامية ولكنها استفادت من خلال الاقتداء بها. وفقط من خلال الشرق استطاعت أوروبا أن تجد طريقها إلى كنوز الإغريق القدماء.

المراكز الألمانية لدراسة العالم العربي-الإسلامي

يوجد في ألمانيا المعاصرة العديد من المراكز التي تدرس الإسلام، العالم العربي، الفن، التاريخ والتطورات الحديثة. وأهم هذه المعاهد هي معهد الاستشراق الألماني في هامبورغ، مركز الشرق الحديث والجمعية الإستشراقية في برلين، وكذلك الجمعية الألمانية للدراسات الاستشراقية، والرابطة الألمانية لدراسات الشرق الأوسط للبحوث المعاصرة والتوثيق، وكلاهما في ماينز.

إن معهد الاستشراق الألماني في هامبورغ هو أكبر معهد للبحوث والتوثيق في هذا البلد. وهو يهتم بالقضايا المعاصرة والسياسة والاقتصاد والمجتمع في شمال أفريقيا والشرقين الأدنى والأوسط. وفي حال أن الجمعية الاستشراقية تركز بالكامل على علم الآثار، فإن مركز الشرق الحديث يدرس الشرق الأدنى من منظور تاريخي مقارن. وتدير الجمعية الألمانية لدراسات الشرق مراكز أبحاث في بيروت واستانبول وكذلك مركز بحوث النيبال العالمي في كاتماندو مع تركيز على اللغة والثقافة الشرقيتين، في حال أن مجال عمل د.أ. ف. أو هو البحث والتوثيق للمجتمع المعاصر في الشرقين الأوسط والأدنى.

ومن أهم العلماء المتخصصين بالشرق: بروفسور غونتر

جامع جديد في دارمستاد

A new mosque in Darmstad

ماير، من معهد الجغرافيا بجامعة ماينز؛ بروفسور جوزيف فان ايس، من الحلقة الدراسية الاستشراقية بجامعة توبنجن، بروفسور آن ماري شميل (التي توفيت في 26 يناير/كانون الثاني 2003)، من الحلقة الدراسية الاستشراقية بجامعة بون، بروفسور فريدمان بتنر، من معهد أوتو-سوهر للعلوم الاجتماعية، بروفسور غوردن كرمر، من معهد العلوم الإسلامية، بروفسور أخيلكا نورت، من الحلقة الدراسية للغتين العبرية والعربية بالجامعة الحرة ببرلين.

المتاحف المهمة

وبالإضافة إلى معاهد البحوث، هناك العديد من المتاحف التي تعرض معالم الثقافة العربية والإسلامية. ومن أهم القطع المعروضة في متحف البرغامون في برلين هي بوابة عشتار البابلية، وواجهة قصر المشتّى الأموي في الصحراء الأردنية. وهناك عدد من المتاحف المصرية في برلين، لايبزك، بون وميونخ، وفيها معروضات متنوعة، وربما يكون أهمها تمثال نفرتيتي الموجود في المتحف المصري ببرلين.

الدويتش فيله – صوت ألمانيا في الخارج

إن الدويتش فيله، وهي المعادل الألماني لإذاعة البي بي سي، والتي لها مقرّان في بون وبرلين، تعتبر نفسها ←

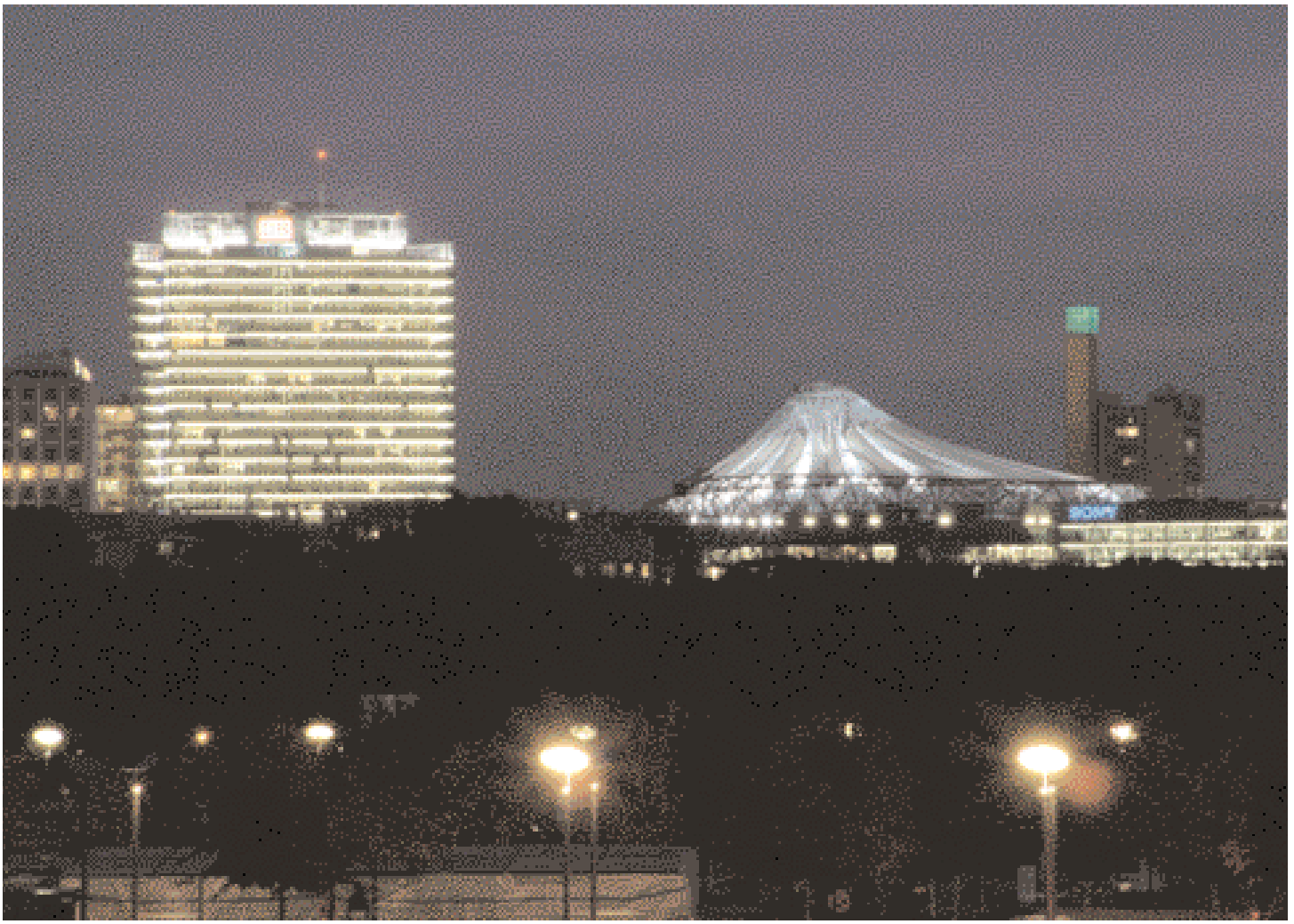

ساحة بوتسدامر ببرلين والتي بنيت حديثا بعد إعادة توحيد ألمانيا

Berlin Potsdamer Platz is the newly built area after reunification

"نداء ألمانيا والإعلام الألماني". وهدفها هو توفير صورة شاملة لألمانيا، من وجهتي النظر الألمانية ومن غيرها، حول القضايا المهمة، وتشجيع الحوار بين الثقافات. وتذيع الإذاعة الألمانية برامج عالمية بنحو 30 لغة ولأكثر من 30 سنة، وقد أضافت مؤخرا خدمات على الإنترنت.

ومنذ عام 1959 كانت تذاع البرامج العربية، وأذيعت البرامج الفارسية أيضا منذ عام 1962. وتم مؤخرا توفير البرامج التلفزيونية ومواد على الانترنت بالعربية في الأقطار الناطقة باللغة العربية. وآخر التطورات هي برنامج على مدى ثلاث ساعات بالعربية يديره رجل متخصص عبر القناة الفضائية نيل إيست. ويوجه البرنامج إلى أكثر من عشرة ملايين بيت في أكثر من 20 بلدا من المغرب وحتى السعودية، وبضمنها أجزاء كثيرة من مالي، والنيجر وتشاد والسودان.

وقال أريك بيترمان، مدير الدويتش فيله، إنه يعتبر البرامج تطرح بدائل أوروبية بوضوح ولذا فإنها تسهم في تحسين الحوار مع العالم الإسلامي.

نصب غوته التذكاري في فرانكفورت Goethe memorial in Frankfurt

والمشروع الآخر الذي تقوم به الدويتش فيله هو التلفزيون الأفغاني. وتسجل الأنباء العالمية من قبل إعلاميين أفغان في برلين باللغتين الداري والباشتو لبثها في كابول خلال أفضل فترات مشاهدة التلفزيون.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن الدويتش فيله، بالتعاون مع معهد غوته والمعهد الاتحادي للعلاقات العامة والمركز الاتحادي للتربية السياسية، هي من مؤسسي موقع القنطرة الألكتروني Qantara.de ويقوم الموقع بالتحاور مع العالم الإسلامي بثلاث لغات.

السياحة الإسلامية بالألمانية

هذا شرح موجز للعلاقات المتعددة ما بين ألمانيا والعالم العربي. وما يهم اليوم بالخصوص هو ليس ضرورة توعية الناس بالعلاقات التاريخية فقط ولكن بناء الجسور بين ثقافتينا. ولذا فإنه من المناسب والتوقيت الصحيح أن يتم إصدار الطبعة الألمانية من السياحة الإسلامية. ■